منهج ابن جني في نقد الشعر قراءة في الأدوات والإجراءات

أ. بلواني حليمة
المركز الجامعي لعين تموشنت

لقد تشكّل النقد العربي القديم وفق معايير استُنْبطت من النصوص الأدبية الأولى، وغدت تلك المعايير أطرا عامة ، تفرعت عنها معايير أخرى في عصور تالية ، ولم يستطع النقد القديم طرح أطر جديدة إلا مع بروز نصوص جديدة ، أحدثت تغييرا في الأنساق التعبيرية ، وجدّدت في المعجم اللفظي ، فكان لزاما أن يجدد النقد أدواته ورؤاه ، ومعاييره التقييمية ، ولم يكن الأمر سهلا على من حمل لواء التجديد في النص ، ومن نظّر لهذا التجديد ، إذ قام جدل طويل حول استباحة النص الجديد لعمود الشعر ، و قفزه على سنن القول الشعري المألوفة ، بل وتجاوزه لمعايير تركيبية وصرفية وعروضية ، كانت إلى حد قريب موانع لأي شاعر أن يلحن فيها ، أو يتغافلها ، طلبا للمعنى ، وسعيا للصنعة اللفظية .

وفي هذا المجال ،يبرز ابن جني الشارح اللغوي الناقد ،وهو يقدم آليات جديدة لقراءة النص الشعري ،لا تقف عند حدود اللفظ بل تتجاوزه إلى الجملة و السياق والنص ، وهو بحسه اللغوي الظاهر ،يستثمر كل المعارف اللغوية لخدمة النص في أبعاده النسقية والدلالية، ويؤسس لمفاهيم حديثة تخص المعنى وتجلياته في انسجام البيت الشعري، واتساق دلالاته .

إن إبراز الآليات اللغوية التي أعملها ابن جني في نقد النص الشعري ، يمثل الهدف الرئيسي لهذا البحث ، خاصة إذا ما علمنا أن ابن جني كان يحمل

مشروعا لغويا ضخما، يتمثل في وضع أطر عامة لسمات التعبير العربي ، وأسراره في تصوير المعنى وتمكينه من المتلقين .

لقد ارتبط نشاط ابن جني في بحوثه ، بالجانب التطبيقي العملي للغة ، أكثر من ارتباطه بالجانب التنظيري ، ولذلك نُلفيه يتَتبَّع الظواهر اللغوية في الشعر والنثر كليهما ، ليس ليُخطِّئ أصحابهما ،إنما ليثبت أن لهذه الظواهر أصولا في العربية ، ولكن لقصور نظر بعض النقاد ، تراهم يسرعون لتخطئتها وإثبات لحن أصحابها ، ولقد أجهد ابن جني نفسه في البحث عن المبررات لكثير من الأنسجة التعبيرية المختلفة ، ورجع إلى سنن العرب في القول ، ليقيس عليها نظائرها وضرائرها في التعبير المحدث ، ويجعل القول المأثور، من أحاديث النبي - عليه الصلاة والسلام – وأحاديث الصحابة الأوائل ،نماذج في القول الفصيح ،خاصة عندما شرح أشعار الهذليين في كتابه الموسوم بـ "التمام في شرح أشعار الهذليين .ولقد مسَّ ابنُ جني، في شروحه ،الكثير من القضايا اللغوية التي اتخذها منفذا لنقد الشعر وتقييمه وتبرير ظواهره ، والتي سيجرّدها في شكل خصائص وميزات اللغة العربية في كتابه " الخصائص " ،من تلك القضايا ما هو متعلق بالجانب الصوتي في ارتباطه بالجانب الدلالي ، والجانب الصرفي وتفريعاته الاشتقاقية ، والجانب التركيبي ومناحيه التأويلية التقديرية ، والجانب الإيقاعي و تغييراته العروضية ..

إنّ المتنبي في رأي ابن جني متفرد في القول الشعري ، سابق إلى المعنى الدقيق ، والوصف البارع ، وإن خُيِّل لبعض النقاد أنه استرق المعنى ممن سبقه من الشعراء فذلك محض تخمين وظن ، فالقول الشعري المبدَع إما أن يكون متطابقا مع قول شعري آخر تواردا للخواطر وتطابقا في الرؤية الشعرية إلى حدّ وضع الحافر على الحافر – كما سماه ابن الأثير في تصنيفاته الخمسة لأنواع السرقات الأدبية أنظر (ابن الأثير ،أ : 1995 : 310- 311.)

– أو أن يكون المعنى الوارد في هذا القول الشعري معنى مبتدعا جديدا ، أو أن يكون الشاعر قد اطلع – فعلا – على القول الشعري الذي سبقه إلا أنه أضاف عليه وأبدع فيه إبداعا ينفي عنه صفة السرقة والاختلاس . يقول ابن جني معلقا على أحد أبيات المتنبي الذي عدّه بعض النقاد مسروقا وهو قوله :

أَزُورُهُمْ وسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِينِي

" حدثني المتنبي وقت القراءة عليه :قال لي ابن خنزابة وزير كافور أعلمت أني أحضرت كتبي كلها ، وجماعة من أهل الأدب يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ، وكان أكثر ما رأيت كتبا ." يقول ابن جني :" ثمّ إني عثرت بالموضع الذي أخذه منه إذ وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ لين صغير جدا فيه معنى بيت المتنبي كله ، على جلال لفظه وحسن تقسيمه وهو قوله :

فالشَّمْسُ نَمَّامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَّادٌ

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون قد ألم بهذا المصراع ، فحسّنه وزيّنه وصار أولى به .وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ . وإما أنه قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ولله دره ، وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسخه ، وما أحسن ما جمع أربع مطابقات في بيت واحد وما أراه سبق إلى مثلها ." ابن جني :أ. 1988 ./1: 375.

بهذه التعليلات يدفع ابن جني عن المتنبي تهمة السرقة الشعرية التي ألصقها النقاد بنصوصه الشعرية الكثيرة ، وهو ملمح نقدي في غاية الأهمية يتقدم به ابن جني ليفتح الموضوع على ثلاثة احتمالات ، ليرجح الاحتمال

الأخير بإشارة تغني عن التصريح ، فقد أسهب في الثناء على الشاعر المتنبي وعلى قدرته في ابتداع المعنى والتفرد به ، ثم يلاحظ – ابن جني – براعة صاحبه في اللفظ و في صياغةٍ جُمِعت إليها أربع مطابقات مميزة ، دلالة على سكوت ابن جني عن نوع من السرقة يكون للشاعر فيها فضل الزيادة والإضافة النوعية الفريدة ، وقد بيّن النقاد – بعد ابن جني – أصنافا من السرقات عدّوا بعضها تميُّزًا من الشاعر الحاذق الذي " **يخفي دبيبه إلى المعنى ، يأخذه في سترةٍ فيحكم له بالسبق إليه أكثر ممن يمرّ به** "(العسكري.أ : 1989. 219) .

. وهو تأكيد من النقاد القدامى **على** أن المعنى ليس ملكا لأحد ، وإنما هو ملك لمن أجاد فيه وأتى بالتعبير الدقيق عنه فبدا وكأنه حديث مبتدع جديد. وهذا ما تبلور في منظومة النقد القديم ، الذي يعطي حق ملكية المعنى لمن زاد عليه وأبدع فيه ، ورصّع صيغه ، وأجاد في صناعته ، وذلك كما يرى أبو بكر الصولي ، حينما تناول شعر أبي تمام ،وتعرض لباب السرقات الشعرية. الصولي .أ،1979: 165 .

وابن جني يمثِّلُ اتجاها جديدا في النقد القديم ، انتصر من خلاله للتجويد في اللفظ، وللخرق المستمر لسنن التأليف المعهود، كما كان يميل إلى أن الشعر صناعة كباقي الصنائع ولذلك وظف ابن جني معطيات اللغة والنحو والبلاغة في نقده للشعر أثناء شروحه للقصائد والدواوين، وقد كان قبله نقاد لغويون اشتهروا بالنقد اللغوي شعر مثل : ثعلب في كتابه : قواعد الشعر ،والمبرد في كتابه : الكامل ،والأصمعي في شرحه لديوان العجاج ، وابن السكيت في شرحه لديوان طرفة بن العبد . يقول الطاهر حمروني : "...**وأبو الفتح من أولئك الشراح الذين كان لهم باع طويل في تفسير الشعر من الزاوية النحوية ، والنقدية ، ولا تحسبَنَّ أن انقد في العصور الأولى كان بمعزل عن النحو أو اللغة ، بل من الثابت أن النقد كان يستلهم الآراء النحوية واللغوية ،**

وأن أعلاما في تراثنا الثقافي مثل المبرد ، وثعلب ،والأصمعي ، اشتهروا بالنحو واللغة ...وكان لهؤلاء الأعلام آراء نقدية وأحكام بيانية في غاية الدقة والجمال " (حمروني .ط . 1985: 94.)

وقلما نجد في التراث النقدي لغويا ينتصر للتحديث في نظام اللغة التواصلي، إلا ابن جني الذي كان ضليعا في علوم العربية، ومع ذلك كان يطرب للغة المتنبي الثائرة على التعابير القديمة والباحثة عن المعاني الدِّقَاقِ، ومهللا بالجديد في الأسلوب وخرق سنن النظام القواعدي الصارم، وقد تصدى ابن جني لحملات كثيرة استهدفت لغة المتنبي الشعرية التي تفتح مجال التعبير على التأويل وازدحام الدلالات ، ومشجعا صديقه الشاعر على التحديث في بنية النص، وفي دقة المعنى. يقول ابن جني معبرا عن ما أحدثته لغة المتنبي في عصره :**ما لهذا الرجل الفاضل من عيب عند هؤلاء السقطة الجهال وذوي النذالة والسفّال إلا أنه متأخر محدث ، وهل هذا لو عقلوا إلا فضيلة له ومنبهة عليه . لأنه أجاد في زمان يعقم الخواطر ويصدئ الأذهان ، فلم يزل فيه وحده بلا مضاه يساميه ولا نظير يعاليه ، فكان كالقارح الجواد يتمطر في المهام الشداد ، لا يواضح نفسه إلا نفسه ، ولا يتوجس إلا جرسه** " (ابن جني أ.188 :1)

فالمتنبي ذو نسيج خاص في التعبير جعل النقاد يستهجنونه ويرمونه بشتى العيوب ، وانبرى ابن جني ينافح عن هذا النسيج بتبيان وجوه التأويل فيه ، ومنقِّبا عن المعاني المقصودة من وراء البيت والبيتين ...بل إن الشاعر كان يترك أمر تفسير المعنى وتأويل اللفظ للناقد ابن جني، الذي كان يراجعه ويطول الحديث بينهما حول مسائل لغوية وردت في القصيدة ، و التي ستكون مثار جدل و غضب من قبل النقاد واللغويين حين تتناهى إلى أسماعهم . يقول ابن جني في ذلك : " ... **لم نكن نتجاوز شيئا من شعره وفيه نظر إلا ويطول القول فيه جدا حتى ينقطع في الريب ،ولقد كان يستدعي تنكيتي عليه ويبعثني على البحث**

لما كان ينتج بيننا ولما كنت أورده عليه مما لم يكن عنده أن مثله يسأل عنه لينظر فيه ويتأمله قبل أن يضطر إلى الجواب عنه ..."(ابن جني .أ 1988 /21:2- 22).وكثيرا ما كان يثير ابن جني مسائل اللغة مع المتنبي، فيرتاب في معن بيت نتيجة للبس وقع في اشتقاق كلمة، فكان المتنبي يقوم بدور المعلم المفصح عن أصل الكلمة، والمستشهد بالأمثلة الموضحة، فما يلبث ابن جني اللغوي إلا أن يسلم بسداد رأي المتنبي وبرجاحة تخريجاته ينقل ابن جني إحدى محاوراته مع المتنبي فيقول : "**سألته يوما عن قوله :**

وقَدْ عادَتْ الأجْفانُ قرحاً منَ البُكا وعَاد بهاراً في الخدُودِ الشَّقَائِقِ

فقلت له : أقرحا منوّن جمع قرحة - مُمَالٌ – فقال :قرحاً منوّنٌ ، ثم قال : ألا ترى بعده وعاد بهاراً في الخدود الشقائق – يقول : فكما أن بهاراً جمع بهارةٍ . وإنما بينهما الهاء ، فكذلك قرحاً جمع قرحةٍ . يقول ابن جني معلقا :" **فليت شعري هل يصدر هذا عن فكر مدخول أو رويّة مشتركة** "(ابن جني .أ 1988 2 / 149.) ولم يكن المتنبي منقطعا عن الشعر القديم ،وما أرساه من دعائم صلبة في مقاييس القول الشعري الفصيح ، فكان مطّلعا على الخلفية المعرفية التي يستند إليها النقاد المعاصرون له ، وإنا لنراه يمارس النقد الذاتي على شعره ، ولربما كان ابن جني هو الذي أحسه بضرورة ألا يخرج شعره عن الأطر العامة للشعر العربي القديم ، فلا يأتي بالغريب ويعزوه للغة العامة ، فلغة العامة ليست ألفاظها حجة. ونرى ابن جني يوضح هذه المسألة حين يعلق على عبارة المتنبي الشعرية :

وَمَصْبُوحَة لَبَنِ الشَّائِلِ

يقول :**سألت أبا الطيب وقت القراءة عليه فقلت له إن الشائل لا لبن لها ، وإنما لها بقية من لبنها هي التي يقال لها الشائلة . فقال :أردت الهاء وحذفتها "**

ويعلل ابن جني هذه الظاهرة في شعر المتنبي بأنها من جوازات الشاعر وقد ورد منها في أشعار العرب القدامى من ذلك قول كثير عزة في شطر من بيت له :

وأخْلتْ بخَيْماتِ العُذْيبِ ظِلالهُا

يقصد العذيبة ، فحذف الهاء "(ابن جني . أ 1988 - 3 / 106). وكانت معاجم اللغة سندَ ابن جني في ردّه على مزاعم الخصوم من النقاد ، فنراه يلجأ إليها تأصيلا للفظ ، أو تفنيدا لزعم يقدمه اللغويون الآخرون ، ومعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي من المعاجم الحاضرة في شرح ابن جني لديوان المتنبي .يقول ابن جني في حوار له مع المتنبي حول لفظ ارتاب في استعماله :"...**وكلّمْته في (يتزيّا) فقلت : هل تعرفه في شعر قديم أو كتاب من كتب اللغة ؟ فقال : لا ، فقلت له : كيف استعملته وأقدمت عليه ؟قال :لأنه جرت به عادة الاستعمال ، فقلت له :أترضى بشيء تورده باستعمال كلام العامة ومن لاحجة في قوله ؟فقال :فما عندك فيه ؟فقلت قياسه (يتزوّى) ، فقال من أين لك ؟ فقلت لأنه من الزي ، والزي ينبغي أن تكون عينه واوا وأصله زوى ... ، ثم قال :لم يرد الاستعمال إلا (يتزيّا) ، فقلت له :إن العامة ليست ألفاظها حججا** ..." (ابن جني . أ 1988 : 1 / 20.) بهذا التخريج اللغوي ناظر ابن جني الناقد المتنبئ المبدع ، وإن احتكم ابن جني إلى القاعدة اللغوية انطلاقا من كونه لغويا ، فإن المتنبي انطلق من واقع الاستعمال اللغوي ، وبين الرؤيتين هناك بون شاسع ، إذ اللغة كمعيار للكلام لا تسمح بأنسجة تعبيرية تخترق هذا المعيار وبالتالي يتفشى اللحن الذي بسببه قام المعيار وتأسست معالمه في النحو والبلاغة خاصة.

و الملاحظات التي أبداها ابن جني حول شعر المتنبي ، وتلك النقاشات التي دارت بينهما، ستكون مادة لمؤلفات ابن جني حول علوم العربية، والبلاغة والشروحات، وسيجردها في شكل تنظير نقدي يخص الكتابة عامة والكتابة

الشعرية خاصة، وسيستنبط خصائص القول الشعري من خلال خصائص الشعر عند المتنبي ومن تَناوله من الشعراء كأبي تمام وشعر الهذليين في العصر الجاهلي. يقول ابن جني موضحا القيمة الأدبية في إبداع المتنبي :"**وإنني لم أر شاعرا في معناه ولا مجريا في مداه ، ولقد كان من الجد فيما يعانيه ولزوم طريقة أهل العلم فيما يقوله ويحكيه على أسدى وتيرة وأحسن سريرة، وإن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صناعة الإعراب ، من ارتكاب شاذ وحمل على نادرة ، فعن غير جهل منه ، و لا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له** ""(ابن جني . أ 1988 1 / 21.) فالمتنبي كما يصفه ابن جني جمع بين الإبداع الشعري والعلم الذي يحسن ذلك ويجيده ،فلم يكن – المتنبي – جاهلا أو غافلا عن ما يقوله في شعره ويعنيه ،إنما كان خروجه عن الإعراب ، وإتيانه بالشاذ والنادر من الألفاظ عن وعي ودراية ، وإنما هو الشعر الذي لا يقف عند حدّ ، ولا منتهى لحريته في ملاحقته للمعنى والقبض على الدلالة .

ثمّ إن نص المتنبي الشعري، الذي طرح رؤية جديدة في التعامل مع معجم اللغة ، وفي توسيعه لدائرة الجوازات الشعرية ، يطلب دراية بدواخل اللفظ، ومن لم يتسلح بآلية التأويل قصُر عن فهم معانيه وإدراك مراميه ، وناصبه العداء واستلّ من أجل ذلك قلمَه للانتقاد اللاذع و الهجاء المقذع .يقول ابن جني، وهو يعلق على أبيات للمتنبي أخذها بعض النقاد بظاهر ألفاظها : ... **ومن هنا تشبث قوم ،لا دربة لهم بالعربية ، بأشياء من ظاهر لفظه إن لم تكن خبرة بدخيلة أمره ، حقا أقول : لقد شاهدته على خلق قلّ ما تكامل إلا لعالم موفق ،فأما اختراعه للمعاني ، وتغلغله فيها واستنقاؤه لها فما لا يدفعه إلا ضد ، ولا يستحسن معاندته إلا ند ، وما أحسبني رأيت أحدا يتناكر فضل هذا الرجل ردحا من الزمان إلا شاهدته بعد ذلك قد رجع عنه وعاد إلى تفضيله ."** "(ابن جني . أ 1988 1 / 107.)

وللمتنبي في نظر ابن جني قدرة عجيبة في المزج بين الأغراض ، وتحويل القصيدة من غرض إلى غرض آخر مناقض تماما له ،وهذه القدرة متأتية من تحكم المتنبي في المعجم الشعري وتصريفه بحسب الرغبة ، فقد لاحظ ابن جني أن مدح المتنبي لكافور الإخشيدي في القصيدة المشهورة ،ما هو إلا هجاء مبطن ، إذ الألفاظ تنصرف على وجهين : وجه ظاهر غير مراد، وآخر باطن هو المراد ، فحين قرأ المتنبي على ابن جني قوله في كافور :

ومَا طرَبي لما رأيتُك بدعةً لقد كنتُ أرجو أن أرَاك فأطْربُ

فقال ابن جني : ما زدت على أن جعلت الرجل أبا زنة – وهي كنية للقرد – ؟فضحك المتنبي . وقد علق ابن جني عن هذه الخاصية في شعر المتنبي أن قال : وهذا مذهب في أكثر شعره لأنه يطوي المديح على هجاء حذقا منه بصنعة الشعر وتداهيا في القول. [1]ولقد أورد ابن جني في شرحه لديوان المتنبي كثيرا من الآراء التي تُعضِّد من موقفه في مسألة من مسائل اللغة، وهي محاولة لتخفيف وطأة النقاد على المتنبي في تخطئتهم إياه ورميه بالسرقة الشعرية ،وتثبيتا لمذهبه في الشرح ، خاصة إذا علمنا أن شرحه الموسوم ب " الفسر " سيجلب له كثيرا من المآخذ التي ذهبت جلها إلى تخطئة ابن جني في فهمه لأبيات من شعر المتنبي، كما صنع المعري في شرحه لديوان المتنبي المسمى ب :"معجز أحمد" ، وتلميذه ابن فورجه في كتابيه :" التجني على ابن جني" و"الفتح على أبي الفتح ".وأحمد بن علي الأزدي في كتابه :"المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب " والتوحيدي في كتابه :"الرد على ابن جني في شعر المتنبي ".وغيرهم كثير .يقول ابن جني معلقا على ثناء أستاذه أبي علي الفارسي على معنى من معاني أبيات المتنبي :"...**فلو لم يكن له** (أي للمتنبي) **من الفضيلة إلا**

قول أبي علي هذا فيه لكفاه ،لأن أبا علي مع جلالة قدره في العلم ونباهة محله واقتدائه سنة ذوي الفضل من قبله ، لم يكن ليطلق هذا القول عليه إلا وهو مستحق له عنده ، فما يتعلق به من غض أهل النقص من فضله، وهذا حاله في نظر فرد الزمان في علمه والمجتمع على أصالة حكمه ." "(ابن جني . أ 1988 1 / 105.) وقد شجع هذا الحكم ابن جني على اعتبار شعر المولدين حجة في المعاني كما أن شعر القدماء حجة في الألفاظ، وقد وافقه في هذا المذهب كثير من النقاد القدماء ومنهم ابن رشيق القيرواني. وسيؤسس ابن جني علم اللغة على منطق خاص ومغاير ، وسيفتح في "العربية " أبوابا جديدة ستغدو حقلا خصبا لمعظم الدراسات التي تناولت فنون القول الأدبي ، وما كتابه " الخصائص " إلا حلقة من حلقات مشروع ابن جني الكبير في التأصيل لعلم اللغة ، ومن الأجدر ألا نأخذ مصنفات ابن جني منعزلة بعضها عن بعض ، إنما في شروحه الشعرية ، وكتبه اللغوية ، وتصنيفاته النحوية والصرفية ، تجلٍّ لمذهب متفرد في اللغة ، لنتأمل ابن جني في كتابه الخصائص حين تناول موضوع الجوازات الشعرية إذ يقول :"**فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها ، وانخراق الأصول بها ، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه، وإن دلّ من وجه على جوره وتعسُّفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمُّطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختيار الوجه الناطق بفصاحته ."** "(ابن جني . أ 1988 2 / 392.) فإننا نلمس حضور شعر المتنبي وكأنه المعنيُّ بهذه الصفات ، إذ شعر المتنبي هو الذي أباح لنفسه الجوازات بدون ضابط ، وخرق سنن اللغة في التعبير، كما أبان شعره عن طاقة اللغة الكامنة في تجاوزها لراهن الكتابة الشعرية وتجريبها لطرائق جديدة في الكتابة قد لا تحدد معنى ولا تقرر دلالة وإنما تفتح التعبير على مجال واسع

للتأويل، وهو ما كان مثار جدل بين الشراح في تأويلاتهم المختلفة لأبيات كثيرة من شعر المتنبي .

كما أن ابن جني لا يعزو هذه الضرورات التي يلجأ إليها الشاعر إلى ضعف في الملكة الشعرية، أو فقر في المعجم اللغوي - وإن كان هذا مذهب المناوئين لشعر المتنبي – وإنما لاختيار الشاعر وجهةً خاصة في التعبير عن المعنى، واستحسانه لها، وكأني بابن جني يرُدُّ على الذين وقفوا من شرحه لديوان المتنبي موقف المعارض والقادح، ودفاعه عن وجوه كثيرة في التعبير أوردها الشاعر، ويبين لهم أسرارا أخرى قد ينطوي عليها القول الشعري. وهي أسرار البلاغة العربية. ينقل أحد الدارسين المحدثين موقف الصاحب بن عباد من شعر المتنبي فيقول :" **وخلاصة القول الذي أطلقه الصاحب في شعر المتنبي أنه شعر في كثير من شواهده مقتبس من غيره في محاولة لنفي صفة التفرد عنه. وهذه الغاية كما قلنا كانت تستهدف النيل من شخص المتنبي للأسباب التي بيناها، والسؤال الجوهري الذي نريد إطلاقه هنا: هل كان كلام الصاحب من الأسباب التي بينت بالفعل عوار شعر المتنبي على ما حفل به من بريق في نظر قراء شعره عامة؟ وهل كانت ملاحظاته حاجباً دون استقبال شعر المتنبي حتى عند منافسيه؟ إن ردة فعل القراء النقاد إزاء ما قاله الصاحب كما أشرنا كانت قوية، ولا سيما عند مناصري مذهب المتنبي في الشعر.**" (علي محمد .أ. 2006: 67.)

وأمام المجالات الرحبة التي فتحها المتنبي في شعره واتساع لغته إلى المجاز بأصنافه ، كان لزاما من ابن جني أن يفتح هو الآخر مجالا رحبا في علم العربية لينَظِّر لهذا التوسع المجازي الوارد في اللغة المحدثة، بل ويذهب إلى القول المشهور الذي شاع عنه وهو أن أغلب كلام العربية مجاز . يقول ابن جني في " خصائصه ":"**من المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة ، من الحذوف والزيادات والتقديم والتأخير ، والحمل على المعنى ،**

والتحريف "(ابن جني ،أ .1988 : 2/ 446) ويقول كذلك في موضع آخر :" **وكيف تصرفت الحال ، فالاتساع فاش في جميع أجناس شجاعة العربية ."** (ابن جني ،أ .1988 : 2/ 447) إن حديث ابن جني عن المجاز والحذف والتقديم والتأخير لا يخلو من التلميح إلى لغة الشعر المحدَث على يد المتنبي وغيره والتي طفت على سطحها هذه الظواهر التي نكرها بعض النقاد لجهلهم بأسرار اللغة العربية في التعبير .

وسيسلك ابن جني منهجا لغويا في كل تصانيفه التي توخى فيها تبيان حكمة اللغة العربية، وحاجتها إلى تطوير وتحديث، وستبرز معالم هذا المنهج في دراسة مستويات التحليل الشكلي للمقول الأدبي – والشعري منه على وجه الخصوص – ويشمل ذلك المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي (النحوي) فضلا على بيان القيم الجمالية في كل مستوى من هذه المستويات وهو ما يخص الجانب الأسلوبي، وعدم التطرق إلى الجانب الدلالي إلا في معرض بيان علاقة المعنى بأحد تلك المستويات. يقول ابن جني في مقدمة كتابه "التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ": " **أجبتك... إلى ملتمسك من عمل ما في الحماسة من إعراب ، وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف أو عروض أو قواف ،وتحاميت شرح أخبارها أو تفسير شيء من معانيها إلا ما ينعقد بالإعراب فيجب لذلك ذكره."** (ابن جني ،أ.1: 1978). ولبيان ما بين تصانيف ابن جني من روابط منهجية وتوحد في الرؤية العلمية لا يفتأ صاحب "الخصائص " من التذكير بما ورد في هذا التصنيف أو ذاك كما في قوله في كتابه " "التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة " مشيرا إلى كتاب " شرح ديوان أبي الطيب "الذي أورد فيه تلك المستويات اللغوية المسمى ب :"الفَسر ":"**وقد أكثرت على هذا و نحوه في شرح تفسير المتنبي ".** (ابن جني ،أ.25: 1978).

ويؤكد ذلك الارتباط المفصلي المهم بين مؤلفات ابن جني ، فكتابه "الخصائص " كتاب جامع لما ينبغي أن تكون عليه لغة الأدب من فسحة في التعبير وبسطة في المعنى وعمق في الدلالة وقوة في التأثير وبلاغة في التصوير وامتداد في التأويل ..

هوامش البحث :

1- ابن الأثير ، محيي الدين أبو السعادات : 1995 : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – ط2- بيروت .دار إحياء الكتب العربية .

2- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي 1979:أخبار أبي تمام – تحقيق خليل عساكر وآخرون.ط 1 القاهرة – الدار الكاتب العربي - .

3- - أحمد علي محمد : 2006 المحور التجاوزي في شعر المتنبي – دراسة في النقد التطبيقي ط1- دمشق - منشورات اتحاد الكتاب العرب –.

4- - ابن جني :أبو الفتح عثمان– 1988 : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر) . تحقيق صفاء خلوصي –ط2 - بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة .

5- ابن جني : 1992 الخصائص :تحقيق محمد علي النجار – دار المدني –جدة ط 3-

6- ابن جني: 1978. التنبيه في شرح مشكل أبيات الحماسة .ط1. .- القاهرة. دار الكتب المصرية

7- أبو هلال العسكري 1989: الصناعتين – تحقيق مفيد قميحة . ط 2 بيروت- دار الكتب العلمية –.

8- الطاهر حمروني: 1985 : منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر ط 1/الجزائر.المؤسسة الوطنية للكتاب - . .